يوسف المصري

وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ ﴿١٠٠﴾

سورة يوسف آية ١٠٠

بنو إسرائيل في مصر

" أكان هو غضبُ الله، حين باغتنا قومٌ ذو أصلٍ وضيع من ربوع الشرق، فغزوا بلادَنا ولم يجدوا مشقةً في إخضاعها بالقوة، وإن كان قد تم لهم ذلك دون التحامٍ معهم في معركة، فلما فرغوا من فرض هيمنتهم على حكامِنا عمدوا إلى مدننا فأحرقوها وهدموا معابدَ الآلهة، واستغلوا الناس استغلالاً وحشياً، فقتلوا من قتلوا ثم ساقوا بنيهم وأزواجَهم أسرى "[٣٤].

كان هذا هو تعليق المؤرخ المصري [القديم] "(مانيتون)" [٣٥] وهو يسجل أحداثَ فترةٍ تاريخية عصيبة، تم خلالها احتلالُ مصر لأول مرةٍ في التاريخ، ولم يكن المحتلون سوى خليطٍ غريب من أقوام رعوية، عضها الجوع إثر مجاعةٍ ضربت مناطقَ غربِ آسيا، فاندفع أهلُ هذه المناطق في أمواج هائلة من البشر متجهين حيث الرزق الوفير والزاد الكثير... في أرض مصر. وقد عُرف هؤلاء البدو الجوعى في التاريخ باسم "الهكسوس".

وكان غزو الهكسوس لمصر قد بدأ بتسللهم إلى شرق الدلتا، ثم أخذوا يفرضون سلطانَهم على الدلتا كلها، واتخذوا لهم هناك عاصمة عُرفت باسم (أورايوس)، وهي تسمية محرفة للاسم المصري [لقديم] حت وعرت، أي "هوارة" اليوم[٣٦].

وما لبث هؤلاء الحكام البدو أن تشبهوا بملوك البلاد الأصليين، وكذلك اتخذوا ألقابهم وكونوا أسرتين حاكمتين هما "الرابعة عشرة والخامسة عشرة"[٣٧]، حكمتا البلاد فيما بين عام ١٧٣٠ و١٥٨٠ قبل الميلاد[٣٨].

وقد تزامن غزو الهكسوس لمصر مع هجرة بني إسرائيل إليها، وهو ما أشارت إليه التوراة وربطت ذلك بحدوث المجاعة التي ذكرناها سابقاً.

تقول التوراة : " فكان جوعٌ في جميع البلدان. وأما جميعُ أرض مصر فكان فيها خبز "[٣٩].

ثم كان نزوح جماعي لسكان غرب آسيا : " وجاءت كلُ الأرض إلى مصر.."[٤٠].

ومن بين هؤلاء كان بنو إسرائيل [يعقوب] : " فلما رأى (يعقوب) أنه يوجد قمح في مصر قال (يعقوب) لبنيه لماذا تنظرون بعضكم إلى بعض. وقال إني

سمعت أنه يوجد قمح في مصر. انزلوا إلى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت "[٤١].

وبينما لا يرى المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" فرقاً بين الهكسوس وبين بني إسرائيل[٤٢] يذكر المؤرخ الإسلامي (ابن كثير) أن ملك مصر حين دخلها (يوسف) بن (يعقوب) كان (الريان) بن (الوليد)، الذي ينسبه (ابن كثير) إلى العماليق، والعماليق هم نفسهم الهكسوس[٤٣].

وبالإضافة إلى ما ذكره (مانيتون) من أسماء لهؤلاء الحكام الأجانب البدو الآسيويين ؛ فإنه تم العثور على شواهد أثرية أخرى تحمل أسماء بعض هؤلاء مثل : (أبوفيس) و (خيان)[٤٤].

ويذكر الأستاذ (سليم حسن) أن (مانيتون) – المؤرخ المصري – ذكر ستة أسماء لملوك هكسوس كونوا الأسرة الخامسة عشرة، وهناك اثنان وثلاثون غيرهم ضمتهم الأسرة السادسة عشرة، أما الأسرة السابعة عشرة فتكونت من ثلاثة وأربعين حاكماً هكسوسياً[٤٥].

ويرجع كثرة هذا العدد من هؤلاء الحكام – في رأينا – إلى سببين :

أولاً : النزاع المستمر بين زعماء قبائل الهكسوس للسيطرة على أوسع مساحة ممكنة من رقعة الأرض، التي تكفل لهم موارد الكلأ والماء، وهو ما اعتاده هؤلاء البدو.

ثانياً : إن هذا العدد الضخم من الحكام لم يكن يمثل سوى عدد زعماء هذه القبائل وشيوخ تلك العشائر البدوية، الذين لم يعتادوا العيش في وحدة سياسية في ظل دولة ذات مؤسسات حاكمة.

وكان (يوسف) – عليه السلام – أول من دخل مصر من بني إسرائيل، وهو (يوسف) بن (يعقوب) [إسرائيل] بن (إسحق) بن (إبراهيم). وكان أبوه (يعقوب) قد تزوج من ابنتي خاله، فأنجب منهما ومن جاريتين لهما اثني عشر ولداً كان من بينهم النبي (يوسف).

وتبدأ التوراة قصة (يوسف) بأن : " وأما (إسرائيل) فأحب (يوسف) أكثر من سائر بنيه لأنه إبن شيخوخته.."[٤٦]، فلما رأى أخوة (يوسف) حب أبيه له وإيثاره دونهم : " أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام "[٤٧].

ومن آيات القرآن الكريم نعلم أن (يوسف) قد حلم ذات يوم حلماً، فذهب ليرويه لأبيه :

(يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) [٤٨].

وكان رد فعل أبيه (يعقوب) هكذا : " فانتهره أبوه وقال له ماهذا الحلم الذي حلمت. هل نأتي أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض. فحسده أخوته. وأما أبوه فحفظ الأمر "[٤٩].

ولكن إخوة (يوسف) كان لهم رأيٌ آخر : (إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلالٍ مبين. اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين)[٥٠].

وذات يوم مضى هؤلاء الأخوة ليرعوا غنم أبيهم، فأرسل (يعقوب) إبنه (يوسف) إليهم : " فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه "[٥١]، ولكن أخاه (رأوبين) اعترض على قتله :

(قال قائلٌ منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين)[٥٢].

وهكذا إتفقوا على ذلك وألقوا بأخيهم في غيابات الجب "ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً، فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسمعيليين مقبلة من جلعاد "[٥٣].

فاقترح أحد الأخوة، وكان يدعى (يهوذا)، بيع الصبي للإسماعيليين. أما الثمن الذي قبضه إخوة (يوسف) من الإسماعيليين فلم يزد على "عشرين فضة"[٥٤].

وهو الأمر الذي يؤكده القرآن أيضاً حين باع هؤلاء الإسماعيليون الصبي :

(وشروه بثمنٍ بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)[٥٥]

يوسف في مصر

وهكذا جيء بـ(يوسف) إلى مصر، وتكمل التوراة قصة سيدنا (يوسف) : " وأما (يوسف) فأُنزل إلى مصر واشتراه (فوطيفار) خصيّ فرعون رئيس الشرط رجل مصري من يد الإسمعيليين الذين أنزلوه إلى هناك "[٥٦].

وكانت هذه مشيئة الله : (وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث)[٥٧]، والأرض هي مصر التي تلقى فيها (يوسف) العلم والحكمة : (ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً)[٥٨].

وكان العلم والحكمة وكذلك تأويل الأحاديث هو الذي أنقذ (يوسف) فيما بعد من سجنه، الذي سيق إليه بعد قصة الإغواء الشهيرة، فقد حدث : " بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى (يوسف) وقالت اضطجع معي "[٥٩].

وألحت المرأة عدة مرات على (يوسف) حتى أنها ذات يوم أمسكت به " قائلة اضطجع معي، فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى خارج "[٦٠].

وهنا انقلب تدله المرأة بـ(يوسف) إلى حقد عليه، حتى : " أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة انظروا. قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا "[٦١].

وفي هذه المرة أُلقي بـ(يوسف) إلى غيابات السجن، وأثناء وجود (يوسف) بالسجن حدث : " أن ساقي ملك مصر والخباز أذنبا إلى سيدهما ملك مصر. فسخط فرعون على خصييه رئيس السقاة ورئيس الخبازين .

فوضعهما في حبس بيت رئيس الشرط في بيت السجن المكان الذي كان (يوسف) محبوساً فيه "[٦٢].

وذات ليلة حلم كلٌ من الساقي والخباز حلماً كان سبباً في اضطرابهما، فلما رآهما (يوسف) سألهما عن سر تبدل حالهما، فروى كلٌ منهما حلمه له، فطمأن (يوسف) الساقي وبشره بعفو الملك عنه وعودته إلى مقامه الأول بعد ثلاثة أيام، أما الثاني فقال له : " في ثلاثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك عنك ويعلقك على خشبة وتأكل الطيور لحمك عنك "[٦٣].

ثم طلب (يوسف) من الساقي أن يذكره عند سيده، أي يذكر له وجود (يوسف) بالسجن دون إثم ارتكبه، ولكن الساقي ينسى (يوسف) وما كان من أمره (فلبث في السجن بضع سنين)[٦٤].

وحدث بعد سنتين من الزمان " أن فرعون رأى حلماً "[٦٥]. وكان حلم فرعون عبارة عن : (سبع بقراتٍ سمانٍ يأكلهن سبعٌ عجافٌ وسبع سنبلاتٍ خضرٍ وأخر يابسات)[٦٦].

أزعج الحلم الفرعون فإلتفت لمن حوله سائلاً إياهم تفسيرَ الحلم، فأجابوه : (أضغاث أحلامٍ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين)[٦٧].

وهنا تذكر ساقي الملك رفيقه بالسجن الذي فسر له حلمه : (وقال الذي نجى منهما وادكر بعد أمةٍ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون)[٦٨].

" فأرسل فرعون ودعا (يوسف). فأسرعوا به من السجن. فحلق وأبدل ثيابه ودخل على فرعون"[٦٩].

ففسر (يوسف) الحلم للفرعون، ولكنه لم يكتف بذلك، بل أسدى إليه بالنصح : (قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شدادٌ يأكلن ما قدمتم لهنّ إلا قليلاً مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)[٧٠].

وسر الفرعون ومن حوله بكلام (يوسف) : " فحسن الكلام في عيني الفرعون وفي عيون جميع عبيده . فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله . ثم قال فرعون لـ(يوسف) بعدما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك. أنت تكون على بيتي وعلى فمك يقبل جميع شعبي إلا أن الكرسي أكون فيه أعظم منك . ثم قال فرعون لـ(يوسف) انظر . قد جعلتك على كل أرض مصر "[٧١].

ولم يكتف الفرعون بذلك بل كافأ (يوسف) مكافأة عظيمة : "وأعطاه (إسنات) بنت (فوطي فارع) كاهن (أون) زوجة "[٧٢]. ومرت سنوات الرخاء السبع، " وابتدأت سبع سني الجوع تأتي كما قال (يوسف) "[٧٣].

ولكن فيما يبدو أن المجاعة الناتجة عن جفاف الأرض كانت قد داهمت قطاعات عريضة شرقي البلاد.. أي غرب آسيا وطالت أيضاً آل (يوسف) في فلسطين، فلما حاق بهم الخطر ارتحلوا جميعاً إلى مصر بما فيهم (يعقوب) [إسرائيل] نفسه :

" جميع النفوس لـ(يعقوب) التي أتت إلى مصر الخارجة من صلبه ماعدا نساء بني (يعقوب) ست وستون نفساً. وابنا (يوسف) اللذان ولدا له في مصر نفسان. جميع نفوس بيت (يعقوب) التي جاءت إلى مصر سبعون "[٧٤].

" وعاش (يعقوب) على أرض مصر سبع عشرة عاماً "[٧٥] قبل أن يتوفاه الله، ومات إبنُه (يوسف) أيضاً في مصر ودفن بها.

وهنا نتوقف لنسجل عدة ملاحظات على قصة (يوسف) وآله في مصر :

أولاً : دخول (يوسف) مصر صبياً صغيراً لا يملك من أمر نفسه شيئاً، وهو ما يتضح من نسيج بدايات قصته، وهو ما يُفهم أيضاً من رواية القرآن، إلا أن التوراة تأبى إلا المخالفة فتحدد عمر (يوسف) حينذاك بسبعة عشر عاماً.

ثانياً : كان دخول (يوسف) – على ما يبدو – في نهاية حكم أسرة مصرية صميمة، وكان ذلك قبل بدء المجاعة والجفاف، وهو ما شهدت به التوراة نفسها، وهذا يعني أن (يوسف) جاء – أو جيء به - إلى مصر قبل حكم الهكسوس، وكان دخوله إلى البلاد طبيعياً وآمناً في ظل ظروف سياسية غير مضطربة، إذ حملته قافلة اعتادت دخول مصر للتجارة.

وقد وصلتنا وثيقة مصرية [قديمة] تثبت أن المصريين كانوا يقومون بتأمين طرق هذه القوافل التجارية، حتى بعد تجربة الهكسوس المريرة، وهذا ما يتضح من نص هذه الوثيقة التي تعود إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، إذ أرسل أحد الموظفين تقريراً إلى الملك يقول فيه : "هنا خبر آخر لصاحب الجلالة، لقد سمحت للبدو القادمين من (أيدوم) بالمرور.. حتى مستنقعات (بيرانتي) في منطقة (تيكو) لمساعدتهم بالحفاظ على حياتهم وحياة مواشيهم "[٧٦].

ثالثاً : باعت القافلة التجارية (يوسف) لموظف مصري كبير يدعى (فوطيفار)، وقد حرص هذا الرجل على أن يتلقى (يوسف) تعليماً مصرياً وأن ينشأ نشأة مصرية، وعاش (يوسف) آمناً هانئاً في كنف الرجل الكريم، حتى حدث ما حدث بين (يوسف) وبين زوجة سيده.

ويربط (جيمس هنري برستيد) بين هذا الجزء من قصة (يوسف) وبين قصة من الأدب المصري القديم هي قصة الأخوين، فيقول : " ويبلغ مغزى هذه القصة الجميلة [يقصد قصة (يوسف)] قمته في الثبات الخلقي، الذي كانت تنطوي عليه نفسية ذلك الشاب المبعد عن وطنه، فنراه وهو غريب في بلدة أجنبية يجازف بحياته محافظة على سلامة أخلاقه وطهارتها (..) ومن الحقائق

المدهشة أن هذه الحادثة التي توجت القصة كلها بتاج الفخر مستقاة من قصة مصرية قديمة شعبية كانت – لابد – قد انتشرت في فلسطين الكنعانية "[٧٧].

وبدخول (يوسف) السجن يكون فصلٌ من روايته قد انتهى وبدأ فصلٌ جديد مختلف.

فعلى ما يظهر أن الهكسوس اجتاحوا مصر أثناء وجود (يوسف) بالسجن، ويبدو أيضاً أن الظروف السياسية في هذه الأثناء قد اضطربت، وهو ما نلمحه في قصة زميلي (يوسف) بالسجن.. وهو ما يوحي بوجود مؤامرة على حياة الملك نفسه، إذ كان أحد هذين النزيلين مسئولاً عن شراب الملك وكان الأخر مسئولاً عن طعامه أو خبزه على حد قول التوراة، وقد أُدين أحدهما بالفعل.

وفي السجن وأثناء حوار بين (يوسف) ورفيقيه من موظفي الفرعون، أورد القرآن عبارة على لسان (يوسف)، إذ يرجع (يوسف) قدرته على تفسير حلمهما إلى ما علمه له ربه : (ذلكما مما علمني ربي) ثم يضيف (.. إني تركت ملة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون)[٧٨]. وقد لا نتعب أنفسنا كثيراً لمعرفة من هم هؤلاء القوم الذين ترك (يوسف) ملتهم، ولكن لابد أن نتوقف أمام جوهر إيمان هؤلاء القوم، فهم لا يؤمنون بالله، وهم كافرون بالآخرة.

وما يهمنا هنا أن (يوسف) لم يكن يقصد المصريين بالذين أشار إليهم "بالقوم"، حتى إذا اختلفنا حول شكل الإله الذي كان المصريون يؤمنون به، فإننا – وغيرنا – لا نستطيع الاختلاف حول عدم كفر المصريين بالآخرة. فلو أننا بحثنا عن موطن لفكرة الخلود والبعث والحساب بعد الموت لم نجد في أرجاء الدنيا – وعلى مر العصور – سوى مصر، فقد آمن المصريون منذ فجر تاريخهم بالآخرة – كما سنوضح فيما بعد تفصيلاً.

وما ذكره (يوسف) – في القرآن – من إيمانه بالآخرة – قام بتطبيقه عملياً – بنص التوراة، بل وعلى الطريقة المصرية الصحيحة، ولنقرأ سوياً ما فعله (يوسف) عند وفاة أبيه (يعقوب) [إسرائيل]، يقول كاتب التوراة : " وأمر (يوسف) عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه "[٧٩].

لم تخبرنا التوراة قبل ذلك عن عملية تحنيط واحدة أُجريت لأحدٍ من بني إسرائيل أو العبرانيين. ولكن التحنيط كان عملاً تطبيقياً لمبدأ أصيل من مباديء العقيدة الإيمانية المصرية، وكان ركناً أساسياً في الطقوس الدينية المصرية الأخروية، التي كان يجريها الكهنة، أي رجال الدين المصريين.

ثم تقول التوراة : " فحنط الأطباء إسرائيل. وكمل له أربعون يوماً. لأن هكذا تكمل أيام المحنطين "[٨٠].
وهكذا صرحت التوراة بأن أيام المحنطين تكمل باليوم الأربعين، وأظن أننا لسنا بحاجة لذكر أن يوم الأربعين [بعد الوفاة] مازال طقساً مصرياً خالصاً حتى اليوم، يحرص مسلمو مصر ومسيحيوها على أدائه.
ثم تبين التوراة " وبكي عليه المصريون سبعين يوماً "[٨١].
والسبعون يوماً هي المدة الزمنية التي كانت تشتمل عملية التحنيط والطقوس المصاحبة لها، وهي فترة زمنية محددة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة المصرية [القديمة]، وهي الفترة التي يغيب فيها نجم الشعرى اليمانية عن السماء ثم يعود [يُبعث] من جديد. وهو ما سنعود إليه عند الحديث عن هذا النجم.
هكذا إذن تمت عملية تحنيط (يعقوب) [إسرائيل].
فلما عزم (يوسف) على دفن أبيه لم يجد بُداً من اصطحاب المصريين لإتمام ما بدأوه : " فصعد (يوسف) ليدفن أباه. وصعد معه جميع عبيد فرعون شيوخ بيته، وجميع شيوخ أرض مصر "[٨٢].
ومضى المصريون يؤدون مهمتهم الدينية : " فأتوا إلى بيدر أطاد الذي في عبر الأردن وناحوا هناك نوحاً عظيماً وشديداً جداً. وصنع لأبيه مناحة سبعةِ أيامٍ. فلما رأى أهلُ البلاد الكنعانيون المناحة في بيدر أطاد قالوا هذه مناحةٌ ثقيلة للمصريين "[٨٣].
كانت هذه "المناحة" أو "التراتيل" يعرفُها أهلُ البلاد الأجنبية بأنها مصرية. وكان (يوسف) قد دفن أباه في أرض كنعان بناءً على وصيته، ولكن (يوسف) نفسه لم يُدفن هناك.. بل دُفن في أرض مصر بعد أن تم تحنيطه هو أيضاً. " ثم مات (يوسف) وهو ابن مائة وعشر سنين. فحنطوه ووُضع في تابوتٍ في مصر "[٨٤].

فإذا عدنا إلى السجن مرةً أخرى، نجد أن الفرعون قد استدعى (يوسف) إلى بلاطه : " فأرسل فرعون ودعا (يوسف) فأسرعوا به من السجن فحلق وأبدل ثيابه ". هكذا كان (يوسف) حريصاً على أن "يحلق"، وهو ابن الحضارة المصرية أو المنتمي إليها حتى في مظهره، فكان حرصه على أن "يحلق" ليس سوى ممارسة للعادة المصرية التي اكتسبها أو شب عليها، وهي عادة تمسك بها الكهنة بالذات.

يقول (هيرودوت) : " وفي غير مصر يطلق كهنة الآلهة شعورهم، أما في مصر فيحلقونها "[٨٥].

فإذا انطلقنا مع (يوسف) من سجنه وذهبنا إلى بلاط ذلك الملك، الذي أزعجه حلمٌ رآه في منامه فطلب تفسيراً له ممن حوله، فأعلنوا جهلهم بهذا العلم، لأنهم – وملـيكهم – لـم يكونـوا مصـريين ليعرفـوا مثـل هـذه العلـوم، أمـا (يوسـف) [المصري] فكان يعلم ذلك، كما كان المصريون يعلمونه ويدرسونه ويطبقونه عملياً، بل وصلوا في هذا الشأن إلى حد تشخيص الأمراض النفسية من خلال تفسير الأحلام، وفي هذا يقول د. (عبدالمحسن الخشاب) : " وكانت وسيلة الإتصال بالقوى الروحانية العليا عن طريق روحي، بالتنويم في المعبد وظهور الإله نفسه للمريض، ووصفه لهم الدواء. وكانت أحلامهم هذه عبارة عن تشخيص للمرض، وكان المفسرون لهذه الأحلام الكهنة الرسميين في المعبد، وغيرهم من مفسري الأحلام ومن غير سلك الكهنوت "[٨٦].

وهذا ما نراه أيضاً في إحدى الأساطير المصرية [القديمة] التي تحكي عن زوجة ولي العهد العاقر التي ذهبت إلى المعبد ونامت هناك، فتجلى لها طيف الله في منامها وقدم لها نصيحة مناسبة، استطاعت بعدها الإنجاب[٨٧].

ولم يقم (يوسف) بتفسير حلم الملك فحسب، بل أرشده أيضاً إلى الطريقة السليمة لتخزين القمح، وهو ما كان "الفلاحون" المصريون يقومون به خلال عهود طويلة سبقت (يوسف)، وهو ما كان يجهله حكام مصر البدو [الهكسوس]. فقد وصلنا من زمن الأسرة العاشرة ما كتبه (خيتي الثاني)، فقال :

" إنني غني بقمح الشمال حيث كانت الأرض في جفاف، فأعشت مدينتي وأذنت للصغير أن يحمل لنفسه من قمح الشمال مع زوجته، وللأرملة مع ولدها، ونزلت عن الضرائب التي وجدت آبائي قدروها "[٨٨].

ومن عصر الأسرة الحادية عشر نقرأ الوثيقة التالية :

" لقد كلت قمح الصعيد، الذي يحيي تلك المدينة بأسرها، في قصر الحاكم أمير الكهان (جفاي)، في سنين الضيق والشدة"[٨٩].

ويروي (أميني) من الأسرة الثانية عشرة : " وكان أن حدثت أعوام المجاعة، فكان أن حرثت الحقول من إقليم الوعل حتى تخومه الجنوبية والشمالية، وأعشت أهله وكفيته غذاءه فلم يبق جائع فيه، إذ أعطيت الأيم كالسيدة ذات الزوج ولم أميز عظيماً على صغير "[٩٠].

إن هذه الوثائق التاريخية – التي تعود إلى زمن يسبق وجود (يوسف) بمصر بسنوات قليلة – لهي دليلٌ دامغ على أن المصريين– وهم مجتمع ذو حضارة زراعية عريقة – كانوا يقومون بتخزين القمح في زمن القحط أو المجاعات. وهذه الوثائق تشهد أيضاً للمصريين بخبرة طويلة وإدارة حسنة. ولم تولد هذه الخبرة فجأة، بل إنها امتدت إلى آلاف من السنين لم تسبق دخول بني إسرائيل مصر فحسب، بل وجودهم ذاته على كوكب الأرض. فقد تم العثورُ على مطامير لتخزين الحبوب في مدينة (الفيوم)، يبلغ عددها ١٦٥ مخزناً، ويعود تاريخُها إلى الألف الخامسة قبل الميلاد[٩١].

وفي مكانٍ آخر بـ(الفيوم) أيضاً عُثر على مطامير يعود تاريخها إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد[٩٢].

وعن أسلوب صُنع هذه المطامير يقول د.(إبراهيم يوسف الشتلة) إن : " المصريين خرجوا بمطامير غلالهم عن منطقة المساكن، وحفروها فوق ربوة عالية بعض الشيء بعيدة عن مساكنهم، ورتبوها في ساحتين ترتفع إحداهما عن مستوى الأخرى، وحفروا كل مطمورة فيها على هيئة مستديرة، تفاوت قطرها بين القدم والثلاثة أقدام، وكسوا قاعها وجوانبها بأغشية من الخوص والقش والحصير وأعواد الأثل، كانوا يكسون جدرانها في أغلب الأحوال بالطين، واحتفظت مطاميرهم ببقايا نادرة من القمح والشعير وبذور الكتان ونباتات أخرى "[٩٣].

كان (يوسف) إبن الحضارة المصرية الزراعية، يعلم ذلك يقيناً، فقد تعلم ذلك وغيره على أيدي علماء مصر وكهنتها.

ولما انتهى (يوسف) من تفسير الحلم وتقديم المشورة لحاكم مصر الأجنبي البدوي [الهكسوسي] كافأه الملك بمنصب عظيم : " قد جعلتك على كل أرض مصر "، ولم يكتف بذلك بل زوجه من (إسنات) ابنة كاهن (أون)، أعظم مراكز مصر الدينية، ولم يكن كاهن مصر الأعظم ليقبل زواج ابنته من أجنبي بدوي إلا إذا كان (يوسف) غير ذلك، فالمصريون لم يكونوا يتزواجون مع البدو.. بل إن التوراة تخبرنا بأنهم كانوا يعتبرون البدو رجساً : " لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين"[٩٤].

وكذلك : " لأن كل راعي غنم رجسٌ للمصريين "[٩٥].

وهكذا كانت قصة سيدنا (يوسف) في القرآن والتوراة غنية بتفاصيل هامة، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحضارة مصر وعلومها وثقافتها ودينها، ولا يسعنا في نهاية هذا الفصل إلا بختمه بخاتمة سورة (يوسف) نفسها : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيءٍ وهدىً ورحمة لقومٍ يؤمنون)[٩٦].

الهـوامـش

١- اليهود واليهودية	د.عبدالجليل شلبي
٢ – بنو إسرائيل في القرآن والسنة	د.محمد سيد طنطاوي
٣ – سفر التكوين إصحاح (١١) آية (٣١)	
٤ – اليهود واليهودية	د.عبدالجليل شلبي
٥ – مقارنة الأديان	د. أحمد شلبي
٦ – بنو إسرائيل في القرآن والسنة	د.محمد سيد طنطاوي
٧ – مقارنة الأديان	د. أحمد شلبي
٨ – بنو إسرائيل في القرآن والسنة	د.محمد سيد طنطاوي
٩ – المرجع السابق	
١٠ – فجر الضمير	جيمس هنري برستيد
١١ – سفر صموئيل الأول الإصحاح (٨) آية (١٩)	وآية (٢٠)
١٢ – بنو إسرائيل في القرآن والسنة	د.محمد سيد طنطاوي
١٣ – مقارنة الأديان	د. أحمد شلبي
١٤ – المرجع السابق	
١٥- بنو إسرائيل في القرآن والسنة	د.محمد سيد طنطاوي
١٦- مقارنة الأديان	د. أحمد شلبي
١٧- المرجع السابق	
١٨- بنو إسرائيل في القرآن والسنة	د.محمد سيد طنطاوي
١٩- فجر الضمير	جيمس هنري برستيد
٢٠- مقارنة الأديان	د. أحمد شلبي
٢١- بنو إسرائيل في القرآن والسنة	د.محمد سيد طنطاوي
٢٢- المرجع السابق	
٢٣- المرجع السابق	
٢٤-دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة	موريس بوكاس
٢٥- المرجع السابق	
٢٦- بنو إسرائيل في القرآن والسنة	د.محمد سيد طنطاوي
٢٧- المرجع السابق	
٢٨- مقارنة الأديان	د. أحمد شلبي
٢٩- ولادة إله	جان بوتيرو
٣٠- فجر الضمير	جيمس هنري برستيد
٣١- سفر القضاة الإصحاح(٣) آية (٥) و (٦)	
٣٢- مقارنة الأديان	د.أحمد شلبي
٣٣- فجر الضمير	جيمس هنري برستيد
٣٤- مصر في القرآن والسنة	د.أحمد عبدالحميد يوسف
٣٥- كان مانيتون كاهناً مصرياً عاش في القرن الثالث	

قبل الميلاد، وكان يجيد إلى جانب لغته الأم (المصرية) كذلك اللغة اليونانية التي سجل بها التاريخ المصري القديم وقسمه إلى الثلاثين أسرة المعروفة.

٣٦- الحضارة المصرية القديمة الأستاذ سليم حسن
٣٧- المرجع السابق
٣٨- المرجع السابق
٣٩- سفر التكوين، الإصحاح (٤١) الآية (٥٤)
٤٠- سفر التكوين، الإصحاح (٤١) الآية (٥٧)
٤١- سفر التكوين، الإصحاح (٤٢) الآيات:(١ – ٣)
٤٢- الحضارة المصرية القديمة الأستاذ سليم حسن
٤٣- قصص الأنبياء ابن كثير
٤٤- الحضارة المصرية القديمة الأستاذ سليم حسن
٤٥- المرجع السابق
٤٦- سفر التكوين، الإصحاح (٣٧) الآية (٣)
٤٧- سفر التكوين، الإصحاح (٣٧) الآية (٤)
٤٨- سورة يوسف آية (٤)
٤٩- سفر التكوين، الإصحاح (٣٧) آية (١٠)
٥٠- سورة يوسف آية (٨) و(٩)
٥١- سفر التكوين، الإصحاح (٣٧) آية (١٨)
٥٢- سورة يوسف آية (١٠)
٥٣- سفر التكوين، الإصحاح (٣٧) آية (٢٥)
٥٤- سفر التكوين، الإصحاح (٣٧) آية (٢٨)
٥٥- سورة يوسف آية (٢٠)
٥٦- المرجع السابق الإصحاح (٣٩) آية (١)
٥٧- سورة يوسف آية (٢١)
٥٨- المرجع السابق آية (٢٢)
٥٩- سفر التكوين، الإصحاح (٣٩) آية (٧)
٦٠- المرجع السابق الإصحاح (٣٩) آية (١٢)
٦١- المرجع السابق الإصحاح (٣٩) آية (١٤)
٦٢-المرجع السابق الإصحاح(٤٠) آيات (١: ٣)
٦٣- المرجع السابق الإصحاح (٤٠) آية (١٩)
٦٤- سورة يوسف آية (٤٢)
٦٥- سفر التكوين، الإصحاح (٤١) آية (١)
٦٦- سورة يوسف آية (٤٣)
٦٧- المرجع السابق آية (٤٤)
٦٨- المرجع السابق آية (٤٥)
٦٩- سفر التكوين، الإصحاح (٤١) آية (١٤)
٧٠- سورة يوسف آيات (٤٧، ٤٨، ٤٩)

٧١- سفر التكوين،الإصحاح (٤١) آيات (٣٧ :٤١)
٧٢- المرجع السابق الإصحاح (٤١) آية (٤٥)
٧٣- المرجع السابق الإصحاح (٤١) آية (٥٤)
٧٤- المرجع السابق الإصحاح(٤٦) آية (٢٦) و(٢٧)
٧٥- المرجع السابق الإصحاح (٤٧) آية (٢٨)
٧٦- ولادة إله جان بوتيرو
٧٧- فجر الضمير جيمس هنري برستيد
٧٨- سورة يوسف آية (٣٧)
٧٩- سفر التكوين، الإصحاح (٥٠) آية (٢)
٨٠- المرجع السابق الإصحاح (٥٠) آية (٢) و(٣)
٨١- المرجع السابق الإصحاح (٥٠) آية (٣)
٨٢- المرجع السابق الإصحاح (٥٠) آية (٧)
٨٣- المرجع السابق الإصحاح (٥٠) آية(١٠) و(١١)
٨٤- المرجع السابق الإصحاح (٥٠) آية (٢٦)
٨٥- هيرودوت "يتحدث عن مصر" ترجمة د.محمد صقر خفاجة
٨٦- تاريخ اليهود القديم بمصر د.عبدالمحسن الخشاب
٨٧- أسطورة سي أوزير Altaegyptische Maerchen Emma Brunner Traut
٨٨- مصر في القرآن والسنة د.أحمد عبدالحميد يوسف
٨٩- المرجع السابق
٩٠- المرجع السابق
٩١- جذور الحضارة المصرية د.إبراهيم يوسف الشتلة
٩٢- المرجع السابق
٩٣- المرجع السابق
٩٤- سفر التكوين، الإصحاح (٤٣) آية (٣٢)
٩٥- المرجع السابق الإصحاح (٤٦) آية (٣٤)
٩٦- سورة يوسف آية (١١١)